روى أن رجلا في بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا
يغفر الله لك فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل له ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك
ولذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب
الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة
أيضا قل ما ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو
آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله لمن فعل به ذلك ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله
ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو
جهل وجمع بين الجهل والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم
إلى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه فاذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من
كراماته وان الله انتقم له مع انه يرى طوائف من الكفار يسبون الله ورسوله و
عرف جماعة آذوا الانبياء وقتلوهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا
بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة افيظن هذا المغرور انه
أكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له ولعله في مقت الله بكبره واعجابه
وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين فاما الاكياس من العباد فيقولون
ما كان يقوله عطا السلمي اذا ارتحت ريحا او صاعقة ما يصيب الناس هذا الا بسببي
ولو مت لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لهم لولا
كوني معهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على
نفسه مزدر لعمله وذلك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة
للشيطان به ثم انه يمتن بعمله على الله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد
الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شي يبعد
العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من
مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير عند
النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارا

في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل حدثتك نفسك
ان ليس في القوم افضل منك فقال اللهم نعم فراى صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه
سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن
العلما والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه
يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا منه
وهذا قد رسخت في قلبه شجرة الكبر لكنه قطع اغصانها بالكلية الدرجة الثانية
ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران والانكار على من يقصر
في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان
يعبس وجهه ويقطب جبهته كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم وليس يعلم المسكين
ان الورع ليس في الجبهة حتى يقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر
ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلب وقال صلى الله عليه وسلم
التقوى ها هنا واشار الى صدره فقد كان صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم واوسعهم
خلقا واكثرهم بشرا وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم
يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بتعبيس فكانه يمن
بعمله عليك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى بذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم
هم احسن حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعو
الى الدعاوى والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة
غيره في العلم والعمل اما العابد فيقول في معرض التفاخر على غيره من العباد من هو
وما عمله ومن اين زهده فيطول لسانه فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول
اني لم افطر منذ كذا وكذا ولا انام الليل واختم القرآن كل يوم وفلان ينام ولا يقرا القرآن
وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسو فهلك ولده واخذ ماله او مرض او ما
يجري مجراه فيدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون

Copyright © King Saud University